

## مقتل أبي الطيب المتنبى

بنسبة مرور ألف سنة على وفاته

للدكتور عبد الوهاب عزام

ولا يزال إغضاب عضد الدولة وقد قصده وبذلق مدحه وسمه ،  
ونال من عطايه ما أنقله شكراً . ورواية « الشعر على قدر البقاع »  
سبيلها في الرد والدحض سبيل أختها

ثم ما الذي ينرى ابن بويه بقتل شاعر عظيم أشاد بذكره  
وآثره بالمدح على ابن عمه ممز الدولة ووعدته أن يرجع إليه ليخلد  
مآثره . إن أعداء عضد الدولة أولى بهذه التهمة . وقد أدرك  
بعض الماصرين أن قتل أبي الطيب إختاف لذمة عضد الدولة فأنشأ  
أحياناً يجرسه فيها على عقاب من أخفروا ذمته

سار الشاعر بمرا كبه وأحاله وغلغله حتى بلغ الأهواز  
وبين الأهواز وشيراز واحد وخمسون فرسخاً . ثم سار  
خمسين فرسخاً حتى بلغ واسط . وهنا تقف لتعرض على القارى  
روایتين : الأولى مروية في الصبح المتنبى عن الخالدين قالا :

« كنا قد كتبنا إلى أبي نصر محمد الجبلي نسأله عما صدر  
لأبي الطيب المتنبى بعد مفارقتة عضد الدولة وكيف قتل  
— وأبو نصر هذا من وجوه الناس في تلك الناحية وله فضل  
وأدب جزل وحرمة وجاء — فأجابنا عن كتابنا جواباً طويلاً  
يقول في أثنائه : وأما ما سألتنا عنه من خبر مقتل أبي الطيب  
فأنا أسوقه وأشرحه شرحاً بيتاً » وفي هذا الشرح يذكر أبو نصر  
قتل أبي الطيب وسيه . ثم يبين تربص فاتك الأسدى في طريق  
الشاعر وعزمه على قتله فيقول :

« وأما شرح الخبر فان فاتك هذا صديق لى . وهو كما سمى  
فاتك لسفكه الدماء وإقدامه على الأهوال في مواقف القتال . فلما  
سمع الشعر الذى هجا به ضبة اشتد غضبه . ورجع على ضبة باللوم  
وقال له كان يجب ألا تجمل لشاعر عليك سبيلاً . وأضمر غير  
ما أظهر »

واتصل به انصراف المتنبى من فارس وتوجهه إلى العراق .  
وعلم أن اجتيازه بجبل<sup>(١)</sup> دير الماقول . فلم يكن ينزل عن فرسه  
ومعه جماعة من بني عمه رأيهم في المتنبى مثل رأيه من طلبه  
واستسلام خبره من كل صادر ووارد

وكان فاتك خائفاً أن يفوته . وكان كثيراً ما ينزل عندى .  
فقلت له يوماً وقد جاءنى وهو يسأل قوماً مجتازين عن المتنبى  
- (١) أظنها محرقة عن « جهة » أو « جبال » فليس عند دير

العالمول جبل

خرج أبو الطيب من شيراز لثمان خلون من شعبان قاصداً  
بنداد قال الكوفة<sup>(١)</sup>

ويقول بعض الرواة إن أبا الطيب لما قدم على عضد الدولة  
ومدحه وصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس عملاقة ، ثم دس  
إليه من يسأله أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة ؟ فقال : إن  
سيف الدولة كان يعطى طبيماً وعضد الدولة طبيماً . فغضب عضد  
الدولة وأوصى إلى جماعة أن يقتلوه<sup>(٢)</sup> . وروى صاحب الايضاح  
أن عضد الدولة قال إن المتنبى كان جيد الشعر بالترب . فلما  
بلغت المتنبى قال : الشعر على قدر البقاع<sup>(٣)</sup>

وهاتان روايتان لا تثبتان على النقد . فأبو الطيب قد أفرغ  
وسمه في مدح صاحبه وقال من نجواؤه ما ملأه شكراً . فكيف  
قال ما نسب إليه ؟ وكيف وهو يعلم أن كلامه جرى أن يبلغ  
عضد الدولة ؟  
وعندنا رواية تخالف هذه :

قال صاحب الصبح المتنبى : حكى عبد العزيز بن يوسف  
الجزباني كاتب الانشاء عند عضد الدولة قال : لما دخل أبو الطيب  
المتنبى مجلس عضد الدولة وانصرف عنه أتبعه بعض جلسائه ، وقال له  
سأله كيف شاهد مجلسنا وأين الأحرار الذين لقبهم منا . قال :  
فامتلت أمره وجاريت المتنبى في هذا الميدان . وأطلت معه عنان  
القول . فكان جوابه عن جميع ما سمع منى أن قال ما خدمت  
عيناي قلبى كاليوم . ولقد اختصر اللفظ وأطال المعنى وأجاد فيه .  
وكان ذلك من أوكد الأسباب التى حظى بها عند عضد الدولة

فهذه الرواية أشبه بمحزم أبي الطيب . ولماذا يقول الشاعر في  
أمير أفاض عليه عطاه إن هذا عطاه متكلف وسيف الدولة كان  
يعطى طبيماً ؟ أكان يبنى إرضاء سيف الدولة وهو في شيراز

(١) ابن خلكان (٢) الصبح ص ٦٩ (٣) المزنة ج ١

من بني عمه قولهم مثل قوله . فقال غلام أبي الطيب وكان عاقلاً :  
الصواب ما رآه أبو نصر . خذ معك عشرين رجلاً يسرون بين  
يديك إلى بئداد . فاغتاظ وشمته شتماً قبيحاً . وقال والله لا أرضى  
أن يتحدث عني الناس بأني سرت في خفارة أحد غير سيفي .  
قال أبو نصر فقلت يا هذا أنا أوجه قوماً من قبلي يسرون  
بمسيرك وهم في خفارتك . فقال والله لا فعلت شيئاً من هذا

ثم قال : يا أبا نصر اخرج الطير تخوفني ومن عبيد المصا  
نحاف علي ؟ والله لو أن نحررتي هذه لقاها على شاطئ الفرات  
وبنو أسد مطشون بخمس وقد نظروا إلى الماء كبطون الحيات  
ما جسر لهم خوف ولا ظلف أن يرده . معاذ الله أن أشغل فكركي  
بهم لحظة عين . فقلت له : قل إن شاء الله تعالى ، فقال هي كلمة  
مقولة لا تدفع مقضياً ، ولا تستجلب آتياً

ثم ركب فكان آخر المهدي . « اه

تقف هنا لتأمل في هذه الرواية المطولة قبل أن تقيدها إلى  
رواية أخرى :

يقول الخليليان إنهما كتبا إلى نصر محمد الجبلي ثم يقولان :  
« وأبو نصر هذا من وجوه الناس في تلك الناحية » يسر في  
الرواية تصريح باسم ناحية ولكن ذكرت ضمناً في نسبة أبي  
نصر « الجبلي » . والذي أراه أنها نسبة إلى جبيل وهي بلدة بين  
التمانية وواسط على دجلة تبعد عن التمانية خمسة فراسخ إلى  
الشرق والجنوب ، وعن دير الماقول ثلاثة عشر فرسخاً . فهذا  
الراوي من بلدة تبعد عن مقتل أبي الطيب نحو أحد عشر فرسخاً  
وهو صديق للشاعر وقائله . وخلاصة روايته :

١ - أن فانتكان الأسدى خال ضبة العيني الذي هجاه  
أبو الطيب كما يكثر السؤال عن الشاعر ليقبله انتقاماً لأخته التي  
هجاها . وقد صرح بهذا لأبي نصر

٢ - وأن أبا الطيب نزل على أبي نصر بجبيل فأخبره  
ونصحه بالحذر فلم يقبل . واحتقر فانتكا وقومه احتقاراً شديداً  
وغلاقاً كلامه غلواً لا يليق برجل عاقل

وفي خزائن الأدب نقلاً عن الايضاح رواية أخرى نصها :  
« وأخبرنا أبو الحسن السوسى في دار الوقف بين السورين ،  
قال : كنت أتولى الأهواز من قبل المهلبى . وورد عليه التنبى  
ونزل عن فرسه ومقوده بيده وفتح عيابه وصناديقه ليل مسها في

قلت له أكرهت المسألة من هذا الرجل . فأى شيء تريد منه  
إذا لقيته ؟ فقال ما أريد إلا الجليل وعذله على هجاء ضبة . فقلت  
له هذا لا يليق بأخلاقك . فتصاحك ثم قال : يا أبا نصر والله إن  
اكتحلت عيني به أو جمتني وإياه بقعة لأسفكن دمه ، ولا يحقن  
حياته . قلت له كف عافاك الله عن هذا القول ، وأزل هذا الرأى  
من قلبك فإن الرجل شهير الاسم ، بعيد الصيت . ولا يحسن  
منك قتله على شعر قاله . وقد هجى الشراء الملوك في الجاهلية  
والخلفاء في الاسلام . فاسمنا بشاعر قتل هجائه . وقد قال  
الشاعر :

هجوت زهيراً ثم إنى مدحته

وما زالت الأشراف تهجى وتمدح  
ولم يبلغ جرمة ما يوجب قتله . فقال يفعل الله ما يشاء  
وانصرف

ولم يرض لهذا القول غير ثلاثة أيام حتى وافانى التنبى ومعه  
بقال موقرة بكل شيء من الذهب والطيب والتجملات النفيسة  
والكتب الثينة والآلات . لأنه كان إذا سافر لم يخلف في منزله  
درهماً ولا شيئاً يساويه . وكان أكثر إشفاقه على دقاره لأنه كان  
قد انتخبها وأحكمها قراءة وتصحيحاً «

قال أبو نصر « فنلقته وأزنته دارى ، وسألته عن أخباره  
وعمن لقي . فمررتني من ذلك ما سررت له وأقبل يصف ابن السميد  
وعلمه وكرمه وكرم عضد الدولة ورغبته في الأدب ومبيله إلى أهله  
فلما أسينا قلت يا أبا الطيب على أى شيء أنت مجمع ؟ قال  
على أن آخذ الليل سكباً فإن النير فيه يخف على . فقلت هذا  
هو الصواب رجاء أن يخفيه الليل ولا يصبح إلا وقد قطع بلداً  
بيداً . وقلت له والرأى أن يكون معك من رجالة هذه البلدة  
الذين يعرفون هذه المواضع الخيفة جماعة يمضون بين يديك إلى  
بئداد . فقطب وجهه وقال لم قلت هذا القول ؟ فقلت لتستأنس  
بهم ، فقال أما والجراس في عنق فإبى حاجة إلى مؤنس غيره . قلت  
الأمر إليك ، والرأى فى الذى أشرت عليك . فقال تلومحك بنبى عن  
تعريض ، وتعريضك بنبى عن تصريح . فمررتني الأمر وبين لى  
الخطب . قلت إن الجاهل فانتكا الأسدى كان عندى منذ ثلاثة  
أيام وهو غير راض عنك لأنك هجوت ابن أخته ضبة . وقد  
نكلم بأشياء توجب الاحتراز والتيقظ ، ومعه أيضاً نحو المشيرين

- ٢ -

سار أبو الطيب من الاهواز إلى واسط فزل بها ، قال علي ابن حمزة البصرى عن القصيدة الكافية التى ودع بها الشاعر عضد الدولة : « هذه القصيدة آخر شعر قاله أبو الطيب . وكتبها والتى قبلها عنه بواسطة يوم السبت لثلاث عشرة بقية من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثمانمائة » (١)

بين واسط وبنداد زهاء أربعين فرسخاً ، وعلى الطريق بلاد تذكر منها ما ذكر فى روايات مقتل أبي الطيب : وهى النمانية ودير قنّى ودير العاقول والصابية

الثمانية فى نصف الطريق بين واسط وبنداد غربى دجلة وهى قائمة اليوم . وكانت تسمى بقبيلة فأعيد اسمها القديم . ودير العاقول كان على شاطئ دجلة الشرق ، وكان عنده مدينة مسماة باسمه ، وكان على ميل من النهر أيام ياقوت . وبينه وبين بنداد ١٥ فرسخاً ، وبينه وبين النمانية زهاء خمسة فراسخ

وإلى الجنوب الشرق من دير العاقول على مقربة منه دير مرمارى الذى يسمى دير قنّى أو (قننه) وهو على ١٦ فرسخاً من بنداد يبعد على الشاطئ قليلاً

وأمام دير قنّى على الشاطئ الصافية على فرسخين إلى الجنوب والشرق من دير العاقول . وكانت على ميل من الشاطئ فى زمن ياقوت .

وعلى نحو ثمانين كيلاً من بنداد إلى الجنوب والشرق توجد اليوم أرض تسمى أرض الدير . ذهبت إليها يوم الجمعة الثانى والعشرين من ربيع الأول سنة خمس وخمسين وثمانمائة (٢) . فإذا تلال كثيرة متقاربة قليلة الارتفاع عليها حطام من الآجر والخزف تبعد عن شاطئ دجلة الشرق نحو كيل واحد

وقد سألت أعزباً نازياً هناك من قبيلة شمر عن أرض أخرى تسمى أرض الدير فى هذه الناحية فذفوا هذا . وسألت عن أسماء العاقول وقنّى والصابية ، أتدرون اليوم هى أو ما يقرب منها ؟ فذفوا جازمين

وإذا نظرنا إلى المسافة بين هذه الأرض وبنداد فهى تقارب خمسة عشر فرسخاً . وهى المسافة القادرة بين بنداد ودير العاقول فى معجم البلدان وغيره

الطريق وصارت الأرض كأنها مطارف منشورة . فحضرتة أنا وقلت قد أمت للشيخ زلاً . فقال التنبى ان كان ثم فهاته . ثم جاء فأتك الأسدى يجمع وقال قدم الشيخ هذه الديار وشرفها بشعره والطريق بينه وبين دير قننه موحش قد احتوشته الصالحك ، وبنو أسد يسرون فى خدمته الى أن يقطع هذه المسافة ، ويبرّ كل واحد منهم بثوب يياض . فقال التنبى ما أبى الله يدي هذا الأدم وذباب الجراز الذى أنا متقلده فانى لا أفكر فى مخلوق . فقام فأتك ونفض ثوبه من رتوت الأعراب الذين يشربون دماء الحجيج حسوا سبعين رجلاً ورسدوا له . فلما توسط التنبى الطريق خرجوا عليه ، الخ »

هذه الرواية تؤيد الأهل ، فى أن أبا الطيب أبى أن يسير فى خفارة أحد ، وتخالفاً فى أن فأتك هو الذى عرس على الشاعر أن يخفروه . ومعنى هذا أنه ما كان مبيتاً شرأله وأنه لو قبلت خفارته ما قتله . وفى الرواية مطاعن :

فقول : أبى الحسن السوسى : « كنت أتولى الاهواز من جبل المهلبى الخ ٢ . يؤخذ منه أن مرور أبى الطيب بالاهواز كان فى عهد المهلبى ، والمهلبى توفى سنة ٣٥٢ كما تقدم

ولو أن فأتك لقي أبى الطيب فى الاهواز فمرض عليه خفارته فأبى فمزم على قتله أو سلبه ما صبر عليه حتى قطع المسافة من الاهواز إلى واسط وهى خمسون فرسخاً ، ثم سار من واسط حتى جاوز النمانية ، كما سياتى ، وذلك أكثر من عشرين فرسخاً . وقول فأتك إن الطريق إلى ديرقنة موحش بيد أن يقال فى الاهواز وبينها وبين ديرقنة مراحل كثيرة وبلدان عامرة ، وإنما يقال مثل هذا فى موضع قريب من ديرقنة النمانية أو جبل . ثم عرض فأتك خفارته على أبى الطيب وفى نفسه منه ما فيها مستبعد كذلك

فرواية أبى نصر أجدر بالقبول بمد حساب البالغة فيها كقول أبى الطيب عن بنى أسد « ابخره الطير تخوفنى الخ . » فالرجل مهما تكبر وتهور كان أعقل من أن يقول مثل هذا القول : وأحسب أبى نصر حينما سئل عن مقتل أبى الطيب أراد أن يبين من نصيبه فى هذه القصة التى يتشرف الناس إلى سماعها فأدخل فيها شيئاً من الصنعة ، وبالغ فى تصحح أبا الطيب وفى إياه هذا قبول النصيحة وهكذا

هو يقول « حيال الصافية من الجانب الغربي » فيمكن أن يقال إن مقتل الشاعر في الجانب الغربي حيال الصافية على الضفة الشرقية - وكلمة حيال هذه صحت في بعض الروايات إلى حبال وليس عند الصافية حبال

يمكن قبول رواية ابن الأنباري بهذا التفسير لو لم نعرف الطريق بين واسط وبنداد أتسير الضفة الشرقية أم الغربية من دجلة ، ولكنتا نعرف من كتب المسالك أن الطريق شرقي دجلة . وقد عرفنا أنه من جبل وليس لنا أن نفرض أنه سار شرق النهر من واسط إلى جبل حيث نزل على ابن نصر ثم عبر إلى النعمانية ليبر إلى الشرق مرة أخرى

وخلاصة هذه الكلمة أن جمع هذه الروايات ونقدها وتعرف مواقع البلاد التي ذكرت في الروايات والطريق بين واسط ودار الخلافة . كل أولئك بين لنا أن مقتل أبي الطيب كان عند الصافية شرق نهر دجلة على نحو ستة عشر فرسخاً من بنداد

— ٤ —

سار أبو الطيب من واسط يؤم بنداد في طريقه إلى الكوفة وكان مسيره يوم السبت سابع عشر رمضان . وفي هذا اليوم كتب عنه علي بن حمزة البصري راويته القصيدتين الأخيرتين من شعره كما تقدم

وبلغ جبل بعد أن سار زهاء سبعة عشر فرسخاً فنزل عند أبي نصر الجبلي كما تقدم . ثم أخذ طريقه حتى حاذى النعمانية وهي في نصف الطريق بين واسط وبنداد ثم سار فرجوجرايا على أربعة فراسخ إلى الجنوب والشرق من دير الماقول ثم تقدم حتى قارب الصافية وبينه وبين بنداد ستة عشر فرسخاً

وهناك خرج عليه فاتك بن أبي جهل الأسدي خال ضبة ابن يزيد الذي هجاه أبو الطيب . وكان فاتك في نيف وثلاثين فارساً راحمين وناشين<sup>(١)</sup> وكان مع أبي الطيب ابنه محمد وغلماؤه الذين وصفهم في القصيدة الميمية التي رثى فيها فاتكا وفي قصيدة توديع ابن العميد كما تقدم

ولا ننرى كم كان غلماؤه ولكنهم كانوا ولا ريب أقل عدداً

من عدوم

(١) نسخة بنداد وفي الخزانة سبعين رجلاً

وسهما يكن فأكبر الظن أن هذه التلال بقايا دير قتي أو دير الماقول . وكانا متقاربين ، وهذا يدل على أن دجلة لم تغير مجراها كثيراً في هذه الناحية وأما الصافية فأحسب موضعها الآن في مجرى النهر ، فقد كانت أيام ياقوت على ميل من دير قتي ، ويؤيد هذا قول صاحب مرصد الاطلاع عن الصافية ، « وقيل موضع دجلة »

— ٣ —

الروايات في مقتل أبي الطيب متفقة في جملتها ، ولكن بعضها أبين وأكثر تحديداً من بعض ، وهي في التحديد قسمان : ١ - روايات تجمل مقتله قرب النعمانية أو قرب دير الماقول دون ذكر الموضع الذي قتل به<sup>(١)</sup>

٢ - روايات تذكر الصافية على أنها موضع القتل أو قرية منه وهي على مقربة من دير الماقول ، بينه وبين النعمانية ، فليست تناقض الروايات الأولى ، بل تزيد عليها تحديداً<sup>(٢)</sup>

٣ - رواية ابن خلكان التي تحاول الجمع بين الروايات فتقول : « بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصافية من الجانب الغربي من سواد بنداد عند دير الماقول بينهما مسافة ميلين » وحتى أن الصافية قرية من دير الماقول ولكنها ليست قرية من النعمانية إلا قريباً نسبياً

٤ - رواية ابن جنى ونسخة بنداد ونسخة في الموصل<sup>(٣)</sup> تذكر مكاناً محرفاً مضطرباً بين فرع ونيزع وشرع . ولم أجد لها ذكراً في الكتب .

يستطيع الباحث بعد هذا أن يقول إن أبا الطيب قتل على مقربة من الصافية ، ولكن ابن خلكان وابن الأنباري يقولان : « من الجانب الغربي من سواد بنداد » والصافية على الشاطئ الشرقي ، فكيف هذا ؟

رواية ابن خلكان متناقضة بلاريب ، فهو يقول في موضع يقال له « الصافية من الجانب الغربي » وهذا خطأ ، وأحسبه اتبع ابن الأنباري فالبارتان متقاربتان . فهل عبارة ابن الأنباري مقبولة ؟

(١) انظر رواية أبي نصر الجبلي في الصباح ، ورواية الخطيب البغدادي

(٢) ابن الأنباري ونسخة الأوقاف والمرى

(٣) مكتبة عبيد بن جابر الجبلي